مارتن لوثر وأثرهُ في الديانة المسيحية

Martin Luther And His Impact On Christianity

أحمد ناصر فاضل

المدرس الدكتور في وزارة التربية - مديرية تربية الأنبار - العراق -

The Doctor Teacher - The Ministry Of Education -

Anbar Education Directorate - Iraq

dr.ahmed.nf80@gmail.com

ملخص البحث

يهدف البحث إلى بيان موقف (مارتن لوثر) من الكنيسة المسيحة والاصلاحات التي وضعها للديانة المسيحية كونه يعد من أكبر المفكرين المناهضين للكنيسة حيث رفض كل تعاليم الكنيسة ووصفها بأوصاف الطاغية التي تريد الاستحواذ على عقول الناس والسيطرة عليهم وعلى ثرواتهم من خلال نشر تعاليمها التي رفض مارتن الانصياع لها وتزامن مع عصر النهضة وإشراقة الشمس الرائعة، يشكل لحظة حاسمة ليس فقط بالنسبة للأمة الألمانية، وإنما للشعوب الأوروبية بمجملها. فهو الذي جدد فهم الدين وقوم اعوجاجه وانحرافاته. ومن الذي فعل ذلك وتجرأ عليه؟ إنه المصلح الكبير مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦) ولهذا السبب يحتفل به الألمان حالياً وعلى رأسهم المستشارة العتيدة، ومعلوم أن والدها كان قساً لوثرياً بروتستانتياً. فهذا الرجل - أي مارتن لوثر - هو الذي أعلن العصيان على روما واتهم البابا ورجال الدين بالانحراف عن المبادئ الإنجيلية والمثالية العليا للدين.

الكلمات المفتاحية:
(مفهوم الكنيسة، موقف مارتن من الكنيسة، اصلاحاته للديان المسيحية).

Research Summary

The research aims to clarify the position of (Martin Luth) from the Christian Church and the reforms that he put in place for the Christian religion, as he is considered one of the largest anti-church thinkers, as he rejected all the teachings of the Church and described them as descriptions of a tyrant who wants to take possession of people's minds and control them and their wealth by spreading its teachings that Martin refused to obey For her, coinciding with the Renaissance and the splendid sunshine, constitutes a decisive moment not only for the German nation, but for the European peoples as a whole. He is the one who renewed the understanding of religion and the people of its distortions and deviations. And who did that and dared it? It is the great reformer Martin Luther (1483 - 1546) and for this reason the Germans celebrate it today, led by the future chancellor, and it is known that her father was a Protestant Lutheran priest. This guy - Martin Luther It was he who declared rebellion against Rome and accused the Pope and the clergy

of deviating from the evangelical principles and the supreme ideal of religion.

Keywords:

(the concept of the church, Martin's position on the church, his reforms to the Christian religions).

❊ ❊ ❊

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ أما بعد؛

فلا يخفى علينا أن ولادة مارتن لوثر في (١٠ نوفمبر ١٤٨٣ - ١٨ فبراير ١٥٤٦) راهب ألماني، وقسيس، وأستاذ للاهوت، ومُطلق عصر الإصلاح في أوروبا، بعد اعتراضه على صكوك الغفران. نشر في عام ١٥١٧ رسالته الشهيرة المؤلفة من خمس وتسعين نقطة تتعلق أغلبها بلاهوت التحرير وسلطة البابا في الحل من «العقاب الزمني للخطيئة»؛ رفضه التراجع عن نقاطه الخمس والتسعين بناءً على طلب البابا ليون العاشر عام ١٥٢٠ وطلب الإمبراطورية الرومانية المقدسة ممثلة بالإمبراطور شارل الخامس أدى به للنفي والحرم الكنسي وإدانته مع كتاباته بوصفها مهرطقة كنسياً وخارجة عن القوانين المرعيّة في الإمبراطوريّة. أبرز مقومات فكر لوثر اللاهوتي هي أنّ الحصول على الخلاص أو غفران الخطايا هو هديّة مجانيّة ونعمة الله من خلال الإيمان بيسوع المسيح مخلصاً، وبالتالي:

أولا: ليس من شروط نيل الغفران القيام بأي عمل تكفيري أو صالح؛

وثانياً : رفض «السلطة التعليمية» في الكنيسة الكاثوليكية والتي تنيط بالبابا القول الفصل فيما يتعلق بتفسير الكتاب المقدس معتبراً أنّ لكل إمرئ الحق في التفسير؛ وثالثاً: أنّ الكتاب هو المصدر الوحيد للمعرفة المختصة بأمور الإيمان؛ وعارض رابعاً: سلطة الكهنوت الخاص باعتبار أن جميع المسيحيين يتمتعون بدرجة الكهنوت المقدسة، وخامساً سمح للقسس بالزواج. ورغم أن جميع البروتستانت أو الإنجيليين في العالم يمكن ردهم إلى أفكار لوثر، إلا أن المتحلقين حول تراثه يطلق عليهم اسم الكنيسة اللوثرية.

أهمية البحث:

من خلال النقاط التالية.

١- أهمية مارتن لوثر ودوره في اصلاح الكنيسة ورجالها .

٢- أثر اصلاحات مارتن في نفوس المسيحين.

٣- اصلاح شريحة من رجال الكنيسة من اجل الوقوف ضد طغيان الكنيسة ورجال الدين .

أهداف البحث:

١- يهدف البحث إلى اظهار موقف مارتن من تعاليم الكنيسة.

٢- بيان صفاء ونقاء العقيدة المسيحية من خلال فكر مارتن لوثر .

٣- بيان الاصلاحات التي وضعها مارتن للديانة المسيحية.

مشكلة البحث:

بعد ظهور مارتن لوثر مع عصر النهضة وإشراقة الشمس الرائعة، يشكل لحظة حاسمة ليس فقط بالنسبة للأمة الألمانية من خلال ثورة مارتن لوثر ضد الكنيسة كونه وضع ٥٠ نقطة لا صلاح الكنيسة .

منهج البحث:

اعتمدت في كتابة هذا البحث المنهج الاستقرائي الذي يحدد الظواهر الدينية التي اراد اصلاحها مارتن لوثر في المجتمع المسيحي من الوصول الى مراده في الاصلاحات.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث مشتملة على عدة مطالب وبعدها الخاتمة والنتائج ثم يليها قائمة المصادر والمراجع.

* * *

المبحث الأول
عصره وحياته

المطلب الأول : ولادته وحياته المبكرة الطفولة والتعليم هانز ومارغريت لوثر، والدا مارتن.

(ولد مارتن لوثر من لودر هانز ومارغريت نيي يندمان في ١٠ نوفمبر ١٤٨٣ في أيسلبن ضمن ألمانيا حالياً، والتي كانت جزءاً من الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ككاثوليكي روماني، وقد عُمّد في صباح اليوم التالي لمولده في عيد القديس مارتن. انتقلت عائلته إلى مانسفيلد في ١٤٨٤، حيث استأجر والده منجماً للنحاس وشغل منصب واحد من أربعة ممثلين للمدينة في المجلس المحلي. كان له عدد من الأخوة والأخوات، أقربهم لمارتن هو شقيقه جاكوب)[١].

مارتن لوثر (١٠ نوفمبر ١٤٨٣ - ١٨ فبراير ١٥٤٦) راهب ألماني، وقسيس، وأستاذ للاهوت، ومُطلق عصر الإصلاح في أوروبا،[٢] بعد اعتراضه على صكوك الغفران. نشر في عام ١٥١٧ رسالته الشهيرة المؤلفة من خمس وتسعين نقطة تتعلق أغلبها بلاهوت التحرير وسلطة البابا في الحل من «العقاب الزمني للخطيئة»؛ رفضه التراجع عن نقاطه الخمس والتسعين بناءً على طلب البابا ليون العاشر عام ١٥٢٠ وطلب الإمبراطورية الرومانية المقدسة ممثلة بالإمبراطور شارل الخامس أدى به للنفي والحرم الكنسي وإدانته مع كتاباته بوصفها مهرطقة كنسياً وخارجة عن القوانين المرعيّة في الإمبراطوريّة[٢].

المطلب الثاني: فكر مارتن لوثر

أبرز مقومات فكر لوثر اللاهوتي هي أنّ الحصول على الخلاص أو غفران الخطايا هو هديّة مجانيّة ونعمة الله من خلال الإيمان بيسوع المسيح مخلصاً، وبالتالي ليس من شروط نيل الغفران القيام بأي عمل تكفيري أو صالح؛ وثانياً رفض «السلطة التعليمية» في الكنيسة الكاثوليكية والتي تنيط بالبابا القول الفصل فيما يتعلق بتفسير الكتاب المقدس معتبراً أنّ لكل أمرئ الحق في التفسير؛[٣] وثالثاً أنّ الكتاب هو المصدر الوحيد للمعرفة المختصة بأمور الإيمان؛ وعارض رابعاً سلطة الكهنوت الخاص باعتبار أن جميع المسيحيين يتمتعون بدرجة الكهنوت المقدسة، وخامساً سمح للقسس بالزواج.

ورغم أن جميع البروتستانت أو الإنجيليين في العالم يمكن ردهم إلى أفكار لوثر، إلا أن المتحلقين حول تراثه يطلق عليهم اسم الكنيسة

(١) ينظر، الموسوعة العربية الميسرة المكتبة النصيرية، صيده ، بيروت،ط١، ٢٠٠٩،(٦/٢٨٨٩- ٢٨٩٠).

(٢) المصدر نفسه ، ص١٤١.

(٣) ينظر، الموسوعة العربية الميسرة ،المكتبة الخيرية ، بيروت ، ٢٠٠٩م،ج٦/٢٨٨٩- ٢٨٩٠.

اللوثري ركّز فكر لوثر اللاهوتي، أنّ الله يمنح المغفرة بمعزل عن أي عمل صالح، وأن الغفران يحلّ من أي عمل تكفيري أو عقوبة مرتبطة به، واعتبر أنه لا يجوز على أتباع المسيح القبول بمثل هذه «الضمانات الكاذبة» المتعلقة بالعمل الصالح. في يناير ١٥١٨ قام مجموعة من أصدقاء لوثر بترجمة الأطروحات الخمسة والتسعين من اللاتينية إلى الألمانية وطبعت ثم وُزعت النسخ على نطاق واسع،(١) ما جعلها واحدة من أول أكثر الكتب انتشاراً في التاريخ، وفي غضون أسبوعين انتشرت في مختلف أنحاء ألمانيا، وفي غضون شهرين في جميع أنحاء أوروبا؛ وتعممت في فرنسا وإنجلترا وإيطاليا عام ١٥١٩.

المطلب الثالث: طموحه ودراسته

عرف عن هانز لوثر كونه طموحاً، إلى جانب رغبته في أن يرى مارتن ابنه الأكبر محامياً؛ ولتحقيق هذه الغاية بعث به إلى إحدى المدارس اللاتينيّة في مانسفيلد، ثم إلى ماغديبرغ عام ١٤٩٧، حيث انضمّ إلى مدرسة يديرها مجموعة من الرهبان على أسس الحياة المشتركة، وأخيراً إلى إيزنباخ عام ١٤٩٨.

كان القاسم المشترك بين المدارس الثلاث اعتمادها بشكل مُركّز على ما يدعى «الفنون الثلاثة» أي النحو والبلاغة والمنطق. في عام ١٥٠١، حين كان لوثر في سن التاسعة عشر، دخل جامعة إيرفورت - والتي وصفها في وقت لاحق بأنها حانة للجعة وبيت للدعارة -، حيث كان نظام التعليم مركزاً، وصفه لوثر بأنه يوم شاق من التعلّم عن ظهر قلب، وغالباً ما يكون مترافقاً مع تمارين روحيّة. حصل لوثر من جامعة إيرفورت على الماجستير عام ١٥٠٥(٢).

* * *

(١) المصدر نفسه، ١٣٢.

(٢) طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقائدها ، انغام بنت محمد عقيل بلا طبعة، ١٤٣٥ه،ص١٣٠.

المبحث الثاني
لوثر وعقيدته في الرهبنة الأوغسطينية

طبقاً لرغبة والده، التحق لوثر بكلية الحقوق في إيرفورت عام ١٥٠٥، غير أنه بدأ بالتسرب من الدراسة بعد مدة وجيزة تقريباً واعتبر أن القانون يمثل عدم اليقين، ملتفتاً نحو اللاهوت والفلسفة، ومعرباً عن اهتمام خاص بأرسطو وعدد من الفلاسفة القروسطيين أمثال غابرييل بيال، الذين أثروا على فكره اللاهوتي سيّما من حيث التركيز على استخدام العقل في الدين دون أن يعلو على «الله المحب» والذي لعب الدور المحوري في فكر لوثر اللاهوتي، جنباً إلى جنب مع اعتقاده بأن البشر لا يمكن أن يتعلموا شيئاً عن الله إلا من خلال الوحي الإلهي، وبالتالي أصبح الكتاب المقدس متزايد الأهميّة بالنسبة له[١].

قرر لوثر أن ينخرط في الرهبنة، وعزا قراره هذا في وقت لاحق إلى حدثٍ له في ٢ يوليو ١٥٠٥، حين نزلت صاعقة بالقرب منه حين كان على ظهر الخيل نتيجة عاصفة رعديّة أثناء عودته إلى الجامعة من منزل ذويه، فصرخ معلناً أنه إن نجا سيغدو راهباً، مع التعهد بعدم فسخ النذر أياً كان.

ربما تكون وفاة اثنين من أصدقائه والحزن الذي أصيب به في أعقاب وفاتهما أثر أيضاً على انخراطه في سلك الرهبنة. في ١٧ يوليو ١٥٠٥، ترك كلية القانون، وباع كتبه الدراسية، ودخل دير الرهبنة الأوغسطينية، وقد عبّر والده عن سخطه من تصرف ابنه، بسبب ما اعتبره مضيعة لتعليم لوثر[٢].

الرهبنة والحياة الأكاديمية

خلال حياته الرهبانيّة، كرّس لوثر قسطاً طويلاً من يومه للصوم الطويل والتأمل والصلاة، والحج والاعتراف المتكرر. لوثر وصف هذه الفترة من حياته لاحقاً بأنها مرحلة من اليأس الروحي العميق، وقال أنه فقد الاتصال مع المسيح المعزي، والذي تحوّل إلى سجّان ومضطهد للفقراء، في ظل غياب العدالة والظلم الواقع في ألمانيا آنذاك.

لاحقاً، قرر يوهان فون ستايبيتز، رئيس الرهبنة، أن لوثر بحاجة إلى العمل لصرفه عن التأمل المفرط، وأمره بمتابعة العمل الأكاديمي؛ بناءً على ذلك عُين عام ١٥٠٧ أستاذاً للكهنوت في كان، وفي عام ١٥٠٨ بدأ تدريس اللاهوت في جامعة فيتنبرغ، ثم حصل على درجة البكالوريوس في دراسات الكتاب المقدس في ٩ مارس ١٥٠٨، ودرجة أخرى للبكالوريوس

(١) طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقائدها، مصدر سابق، ص١٣٥.

(٢) الموسوعة العربية ، مصدر سابق ط٢، الرياض، ص١٧٨.

في عام ١٥٠٩، وفي ١٩ أكتوبر ١٥١٢ حصل على درجة دكتوراه في أصول الدين، وأخيراً في ٢١ أكتوبر ١٥١٢ حصل على درجة الدكتوراه في الكتاب المقدس، وعاد إلى جامعة فيتنبرغ، حيث قضى القسط الأوفر من حياته[١].

بدايات الإصلاح القضايا الخمس والتسعون

باب كنيسة جميع القديسين في فيتنبرغ، والتي علق لوثر على بابها القضايا الخمس والتسعين، في ٣١ أكتوبر ١٥١٧، والتي شكلت بداية الإصلاح.

في عام ١٥١٦ أُرسل يوهان تيتزل، الراهب الدومينيكاني والمفوض البابوي الخاص إلى ألمانيا لبيع صكوك الغفران، بغية جمع الأموال اللازمة لإعادة بناء كاتدرائية القديس بطرس في روما.

كان اللاهوت الكاثوليكي الروماني يرى أن الإيمان وحده - أو التوبة وحدها - غير كافيّة للحل وغفران الخطيئة بل يجب أن تترافق مع أعمال صالحة كالأعمال الخيريّة التي من ضمنها التبرع بالمال للكنيسة. في ٣١ أكتوبر ١٥١٧، كتب لوثر إلى أسقفه ألبرت الماينزي، احتجاجاً على بيع صكوك الغفران، ومعتبراً أن الإيمان وحده كافٍ لنيل التبرير، أرفق لوثر مع رسالته نسخة من أحد كتبه التي عرفت باسم الأطروحات أو القضايا الخمس والتسعين، والتي أعلن فيها لوثر أنه لا ينوي مواجهة الكنيسة أو البابوية مطلقاً، لكن الرسائل والمناظرات خلال تلك الفترة وأسلوب الكتابة، ينمّ عن وجود نوع من التحدي في العديد من الأطروحات لاسيّما الرسالة ٨٦، والذي سأل فيها: «لماذا يريد البابا بناء بازليك القديس بطرس من مال الفقراء، بدلاً من ماله أو مال الفاتيكان الخاص؟»[٢]، اعترض لوثر أيضاً على قول منسوب إلى الموفد البابوي يوهان بمعنى أنه حالما ترنّ العملة في قاع الصندوق، فإنّ أرواحاً تتخلص من العذاب. كانت قلعة فرتبرغ، المكان الذي التجأ إليه لوثر بعد محاكمة مجلس ورمز.

قام الأمير فريدريك الثالث بنقل لوثر تحت حماية فرسان ملشمين إلى قلعة فرتبرغ بعد انفضاض مجلس ورمز. وخلال إقامته في القلعة الواقعة في منطقة إيزنباخ، ترجم لوثر العهد الجديد من اليونانية إلى اللغة الألمانية، ووضع عدداً من الكتب الجدليّة، كان من ضمنها كتاباً تهجم فيه على ألبريشت رئيس أساقفة ماينز، كما ألف كتباً أخرى في شرح مبدأ التبرير، وتفنيد لاهوت التبرير في الكنيسة الكاثولكية، وشرح عدد من الكتابات اللاهوتية[٣].

(١) تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر ، ميرل د وبينياه ، ط١، بيروت، ١٨٧٨، (١٤١/٢).

(٢)الموسوعة العربية ، مصدر سابق ط٢، الرياض، المكتبة المصرية، بيروت، ٢٠٠٩م،ص٢٨٨٩.

(٣) ينظر، موسوعة المورد دائرة المعارف انكليزية عربية

جميع هذه الأعمال، ركزت على الإيمان، وقال إنّ العمل الجيد الذي يقوم به المرء بهدف كسب أجر من الله هو خطيئة. وبيّن أنّ كل البشر خطاؤون بالطبيعة، وأنه بدون نعمة الله، لا يمكن للإنسان أن يقوم بعمل صالح.

في ١ أغسطس ١٥٢١ كتب لوثر إلى ملنشثون حول الموضوع ذاته: «كن خاطئا، بل وخطاياك قويّة، ولكن دع ثقتك في المسيح تكن أقوى، لتفرح في المسيح المنتصر على الخطيئة والموت»[١] في المرحلة ذاتها من مراحل تطوّر فكره، هاجم لوثر التقوى الشعبيّة، مثل الحج أو زيارة الكنائس أو سواها من الممارسات الكنسيّة. قال أن القداس الإلهي هو هدية من الإله، وأدان فكرة اعتبارها تجسيداً للتضحيّة، وذهب لحد وضع هذا التصوّر بأنه وثنية. رفض لوثر، خلال تواجده في قلعة واتبرغ، سر الاعتراف بشكل إلزامي، وقال أنه بدلاً من الاعتراف لدى قس، يجب التشجيع على الاعتراف والغفران بشكل خاص، وقال أنّ «كل مسيحي هو مُعرّف». وفي نوفمبر، اعتبر لوثر أن كسر النذور الرهبانيّة، وأهمها نذر العفّة، ليست خطيئة، لأن هذه النذور كانت محاولة غير شرعيّة وقاصرة ودون جدوى للفوز بالخلاص.

الغرفة التي أقام فيها لوثر، في قلعة فارتبورغ أثارت هذه الكتابات الكثير من الاضطرابات، لاسيّما في أوساط الرهبنة الأوغسطينية التي تخرج منها لوثر، والتي تمرد بها الرهبان محطمين الأيقونات في الكنائس ومعلنين دعمهم لأفكار لوثر وشجبهم مجلس ورمز؛ بعد زيارة سريّة وسريعة قام بها إلى فيتنبرغ في ديسمبر ١٥٢١، كتب لوثر عتاباً لمناصريه على هذه التصرفات، ودعا كافة المسيحيين لتوقي خطر التمرد والثورة. [٥٥] التقلبات في فيتنبرغ استمرت إلى ما بعد عيد الميلاد، حيث دأبت عصابات صغيرة من أنصار لوثر الأكثر تعصباً، على أعمال شغب، ووعظ حول معمودية الكبار، والعودة الوشيكة للمسيح. وقبيل نهاية العام، سمح مجلس فيتنبرغ بعودة لوثر إليها[٢].

العودة إلى فيتنبرغ وحرب الفلاحين:

عاد لوثر سراً إلى فيتنبرغ في ٦ مارس ١٥٢٢. وكتب «خلال غيابي، دخل الشيطان إلى حظيرة الأغنام في بلادي، جالباً ويلات عديدة لا يمكن إصلاحها عن طريق الكتابة فقط، بل من خلال وجودي الشخصي وكلماتي المعاشة»[٣].

مصورة ، منير البعلبكي ، بيروت، ج٦/ ١٧٩.

(١) ينظر، مختص تاريخ الكنيسة ،اندرو مار،٤٢٧/ ٤٢٩ ،وينظر، الطوائف المسيحية في مصر والعالم، ص١٥٧

(٢) أصول التعليم المسيحي الكتاخيسمس الصغير، بلا طبعة ولا تاريخ ، مارتن لوثر

(٣) شرح موجز لأصول التعليم المسيحي، مارتن لوثر، ص١٧٩.

ابتداءً من يوم الأحد ٩ مارس، ولمدة ثمانية أيام لمناسبة الصوم الكبير، أعلن لوثر ثمانية خطب، أصبحت تعرف باسم «العظات»، ناقش خلال هذه الخطب أهمية سيادة «القيم المسيحية» الأساسية مثل الحب، والصبر، والإحسان، والحرية، والثقة بكلمة الله بدلاً من العنف في إحداث تغيير ولو كان ضرورياً. وعظ لوثر فيما يخصّ الموضوع الأخير: «هل تعرف بماذا يفكر الشيطان عندما يرى الرجال يستخدمون العنف لنشر الإنجيل؟». ليستنتج أنّ الشيطان هو من يجني الفائدة في ذلك، وأنه يخاف بالأحرى وينهزم عندما يرى الكلمة والعمل هما سلاحا الميدان في المعركة.

كان تأثير عودة لوثر كبيراً للغاية، فبعد العظة السادسة، كتب فقيه فيتبرغ جيروم سشورف: «يا للفرحة من عودة الدكتور مارتن، تنتشر بيننا كلماته من خلال الحرمة الإلهية، وإعادة جميع المضللين اليوم، إلى سبيل الحقيقة»[١].

أما المجموعة الثانية من عظات لوثر، فكانت حول إقرار أو تعديل ممارسات كنسيّة بعينها، كما عمل خلال تلك الفترة مع السلطات المدنية لاستعادة النظام العام؛ وقد واجه معارضة قويّة من المحافظين الذين أرادوا المحافظة على الطقوس دون مساس، وهو ما أدى إلى إثارة الاضطرابات الاجتماعية والعنف وعلى الرغم من نبذ لوثر للعنف، فإن مساعديه من الدعاة أمثال نيكولاس ستورش وأنصار الأنبياء تسفيكا، وتوماس منتزر، قاموا بتحريض الفلاحين الألمان خلال فترة ١٥٢٤-١٥٢٥ للثورة، ارتكبت خلالها العديد من الفظائع، وغالباً تحت اسم لوثر. كانت الثورات الفلاحيّة على نطاق صغير، أمراً منتشراً في ألمانيا خلال القرن الخامس عشر، لكن منشورات لوثر عن رفض التراتبية الهرمية في الكنيسة، وتكرار استخدام عبارات مثل حريّة وليبرالية، أجج اعتقاد الطبقات الفلاحيّة بأن لوثر سيدعم أي هجوم على الطبقات العليا بشكل عام[٢]. اندلعت ثورات في فرانكوفونيا، وشوابيا، وساكسونيا السفلى في عام ١٥٢٤، وتحول الأمر إلى صدامات مسلحة أشبه بحرب.

تعاطف لوثر مع شكاوى بعض الفلاحين، وأظهر رداً مستفيضاً في مقالاته الاثني عشر التي صدرت في مايو ١٥٢٥، لكنه أكّد في الوقت ذاته على وجوب طاعة السلطات الزمنيّة. وصرّح خلال جولة له في ساكسونيا السفلى، أنه غضب على نطاق واسع من حرق الأديرة ومقرات الأساقفة والمكتبات؛ وعمليات القتل والسرقة؛ التي قامت بها عصابات الفلاحين الداعمة له. بعد عودته إلى فيتنبرغ، قدّم تفسيره لرأي الإنجيل

(١) شرح موجز لأصول التعليم المسيحي، مصدر سابق، ص١٨٠.

(٢) بحث في حركة الإصلاح البروتستانتي، د. سامي الشيخ محمد، ص١٦٠.

في الثورة، وأدان بشدة أعمال العنف التي وصفها بكونها أعمال إبليس، بل دعا النبلاء إلى إخماد المتمردين «مثل الكلاب المسعورة».

لوثرر وثورة الفلاحين:

تبريرات لوثر لمعارضته ثورة الفلاحين كانت في ثلاثة أسباب، **السبب الأول:** أنهم اختاروا العنف في وجه حكومة زمنيّة شرعيّة، متجاهلين قول المسيح في «تقديم ما لقيصر لقيصر، وما لله لله»، واستشهد أيضاً بالرسالة إلى روما ١٣: ١-٧ حيث أوضح القديس بولس أنّ السلطة هي من الله وبالتالي لا يمكن مقاومتها. **والسبب الثاني:** الأعمال المخالفة للوصايا الإلهية خلال الثورة من قتل وسرقة ونهب والتي وضعت الفلاحين خارج «شرع الله وقوانين الإمبراطورية» لذلك فهم «يستحقون الموت في الجسد والروح، إذ غدوا قطاع طرق وقتلة» **والسبب الثالث:** هو التجديف، إذ إنهم قد قاموا بأفعالهم هذه، تحت شعار الإنجيل[١]. ومن دون دعم لوثر للانتفاضة، ألقى العديد من المتمردين أسلحتهم، وشعر البعض الآخر بالخيانة. وبعد معركة فرانكن هوسن في ١٥ مايو ١٥٢٥، انتهت حرب الفلاحين. ليجد بعض المتطرفين ملاذهم في جماعات أخرى نشأت على غرار اللوثرية مثل حركة تجديد العماد[٢].

تنظيم الكنيسة

لزجاجية تظهر مارتن لوثر يَعِظُ بالإنجيل في كنيسة القديس متى، في الولايات المتحدة مع عام ١٥٢٦ وجد لوثر نفسه وبشكل متزايد، ينظّم كنيسة جديدة.

بين عامي ١٥٢٥ و١٥٢٩ شكّل لوثر هيئة للإشراف على الكنيسة، لخدمة المكان ووضع الكتب والشروح وتنظيم أشكال العبادة. أراد أن تكون الكنيسة لا مركزية، بحيث لا يمكن استبدال النظام التراتبي المعمول به في الكنيسة الكاثوليكية بآخر شبيه، ولذلك فقد أوجد الكنائس المحليّة، مثل كنيسته في ولاية سكسونيا والتي لا تتدخل في شؤون الكنائس في سائر الولايات الألمانيّة، وإنما تتعامل كمستشار لكنائس المناطق الجديدة لا غير[٣].

فصل لوثر الإدارة المالية من رجال الدين، وأناطها بمسيحيين عاديين في مجالس خاصة لهذه الغاية، حسب بريشت كاتب سيرة مارتن لوثر، فإن هذه الخطوة، كانت بداية تطور غير

(١) ينظر، صعود البروتستانتية الأيفانجيئيكانية في امريكا ، محمد عارف، ١٧١، وينظر ما بعدها ١٧٢/ ١٧٤،

(٢) ينظر، قاموس الكتاب المقدس، موريس جدعون, حنا حلو, غسان خلف ،بيروت، ص١٤٥.

(٣) موجز لأصول التعليم المسيحي ، مارتن لوثر، ترجمة المركز اللوثري للخدمات الدينية في الشرق الأوسط، ط١،بيروت١٩٨٨، ص١٣٤.

مقصود في تاريخ البشرية، حول سيطرة السلطة الزمنيّة على ممتلكات وأموال الكنيسة.

تصريحات لوثر التي أطلقها لرعاة الكنائس عام ١٥٢٨ شكلّت تراجعاً عن حدة مواقفه السابقة، فالبيان الذي صاغه ملنشتون بموافقة لوثر، شدد على دور التوبة في غفران الخطايا، على الرغم من موقف لوثر أن الإيمان كافي للتبرير؛ كذلك فقد أدان تدريس كون الإيمان منفصل عن الأعمال. هذه التعليمات، في وثيقة رسمية صادرة عن لوثر، شكلت مشكلة لأولئك الذين يسعون لتطور ثابت في الفكر والممارسة عند لوثر[١].

كان لوثر، وبناءً على طلب أتباع الكنيسة، قد كتب ونشر قداساً ونشره في بداية عام ١٥٢٦، وهو يشبه إلى حد بعيد الرتبة الرومانيّة الكاثوليكية، غير أن الفروق تميزت باللغة، فالكنيسة الرومانية كانت توجب تلاوة نصّ القدّاس باللاتينية حتى المجمع الفاتيكاني الثاني الذي انعقد في النصف الثاني من القرن العشرين، في حين أن لوثر ومنذ القرن السادس عشر وضع نصّ القداس باللغة الألمانية السائدة؛ كما أنه قام بتبسيط بعض الحركات الطقسية؛ وأغفل من النص أي عمل كفاري من قبل المشاركين في القدّاس عن خطاياهم. احتفظ لوثر بالتنظيم الكنسي التقليدي، من حيث ارتفاع الهيكل ووجوب الكأس، في حين جعل الشموع وغطاء المذبح وثياب القس المحتفل اختياريّة[٢].

بعض المصلحين البروتستانت اللاحقين أمثال زوينجلي نظر إلى قداس لوثر وتنظيمه على أنه «بابوي جداً»؛ المؤرخون لاحظوا أن أغلب تعديلات لوثر أدخلت لاحقاً على رتبة القداس الكاثوليكي الروماني نفسها.

قدّم لوثر أيضاً رتباً عن العماد والزواج، وعيّن مواعيد يوميّة في الكنائس لتلقين التعليم للأطفال أو الشباب أو الفقراء. هذا التنظيم، الذي بدأ في العام ١٥٢٧، شكل بنوع أو بآخر، أساس مدارس الأحد لدى سائر الطوائف حديثاً؛ والدافع الأساسي له، كتابات لوثر عن عدم معرفة الناس كثيراً عن العقيدة المسيحية، وأشار إلى كون كثير من القساوسة تنقصهم المهارة والأسلوب في الوعظ والتدريس، لذلك فقد وضع لوثر نظاماً آخر، لتقوية الوعظ في الكنائس؛ كما نشر عام ١٥٢٩ كتابه الشهير عن التعليم المسيحي، والذي قدّمه كدليل للرعاة والمعلمين، ويشتمل على تعاليم مسيحية سهلة الفهم مثل الوصايا العشر، والصلاة الربيّة، والعشاء الأخير. أشار لوثر أنه من غير المطلوب أن يحفظ المسيحيون فقط عن التعليم المسيحي، بل أن يفهموها أيضاً. ولا يزال، كتاب لوثر عن التعليم المسيحي مستعملاً

(١) المصدر نفسه، ص١٣٥.

(٢) المصلح مارتن لوثر، بحث تاريخي عقائدي مقدم من الدكتور القس حنة جرجس الخضري، دار الثقافة، ص٧.

حتى اليوم، إلى جانب العديد من الترانيم التي صاغها، وترجمته الخاصة للكتاب المقدس. ولقد أثبت التعليم الذي قدمه لوثر - لا سيّما المنشورات اللاحقة التي قدمها في كرّاسات صغيرة - فعاليّة كبيرة، في مساعدة الآباء تعليم أطفالهم، وكذلك كان فعالاً بالنسبة للقساوسة. استخدام اللغة الألمانية العاميّة وتبسيط العقيدة، كانتا النقطتان الأساسيتان في تأليف لوثر[١].

آراء جدالية:

نصب لمارتن لوثر في برلين، ألمانيا.

خلافاً لآراء العديد من المصلحين أمثال كالفن وملنشون، كان لوثر يعتقد بأن الروح «ترقد وتنام» بعد انفصالها عن الجسم في الموت، حتى يوم القيامة. وبذلك نفى التفسيرات التقليدية لبعض مقاطع الكتاب المقدس، مثل مَثل الغني والعازر. وخلافاً للكنيسة الكاثوليكية، رفض لوثر فكرة وجود مطهر، يكفّر فيها الموتى عن الخطايا التي لم تكفّر بعد في الحياة الأرضية.

وأكد لوثر أيضاً على استمرار هوية المرء الشخصية إلى ما بعد الموت. وقد لاحظ اللاهوتي اللوثري فرانز بيبر أن تعليم لوثر عن حالة الروح بعد الموت تختلف عن اللاهوتيين اللوثريين في وقت لاحق أمثال غيرهارد يوهان.

في أكتوبر ١٥٢٩ استدعى فيليب الأول مجموعة من علماء الدين من ألمانيا وسويسرا لعقد مجلس في ماربوغ بهدف إنشاء وحدة مذهبية في الدول البروتستانتية الناشئة؛ وبنتيجة المجلس تم التوصل لاتفاق على ١٤ نقطة من أصل ١٥ نقطة مطروحة، والخلاف الوحيد كان عن طبيعة القربان الأقدس - سر الإفخارستيا - وهي مسألة حاسمة في الفكر اللوثري[٢].

اختلف رجال الدين ولاهوتيو البروتستانتية حول تفسير الآيات المتعلقة بتقديم المسيح الخبز على أنه جسده في العشاء الأخير، فبينما ذهب أغلب لاهوتيي الكنيسة البروتستانتية إلى تأويل النص وأخذه مجازياً، فقد أصرّ لوثر على الوجود الحقيقي وبشكل سرّي للجسد والدم في الخبز الفطير والنبيذ المكرّس، متفقاً بذلك جزئياً مع تعليم مجمع ترنت في الكنيسة الكاثوليكية؛ في حين اعتقد خصوم هذا الرأي بأن لا تحوّل يحصل، وأنّ الأمر هو تحوّل روحي أو مجرد رمز.

تحول النقاش إلى جدال ومواجهة في كثير من الحالات، خصوصاً مع زوينجلي. وعلى الرغم من هذا الخلاف حول سر القربان المقدس، فإن مجلس ماربوغ مهد الطريق للتوقيع عام ١٥٣٠ على اعتراف أوغسبورغ والذي شكّل جامعة للدول البروتستانتيّة وشارك به حشد كبير ومرموق من النبلاء والأمراء البروتستانت.

(١) الموسوعة العربية ، مصدر سابق ، ص٢٨٩١.

(٢) الموسوعة العربية ، مصدر سابق ، ص٢٨٩٣.

مع بداية العام ١٥٣٧ كان يوهانس أغريكولا وهو أحد القسس الواعظين في آيسلبن مسقط رأس لوثر، يعظ بإسقاط الوصايا العشر بحجة كونها واردة في العهد القديم، وقال بأنه لا يجوز تدريسها كجزء من التعليم المسيحي. قام لوثر بالرد على أطروحات أغريكول في ستة رسائل مفتوحة، بيّن فيها لوثر قراءة جديدة للوصايا العشر، فهي برأيه تساعد في اكتشاف الخطيئة وبالتالي تحثّ على التوبة وطلب الغفران، وتبيّن بشكل جلي ما جاء المسيح ليعمله في الإنجيل. ومن ناحية ثانية، أشار لوثر إلى أن الوصايا العشر تشكل إرادة الله الأبديّة أي بمعنى آخر القانون الطبيعي، الذي يبين كيف يمكن للمسيحي أن يعيش.

كذلك، فإنّ من الآراء والمواقف الجدليّة البارزة التي عُرف بها لوثر، علاقته بزواج فيليب الثاني مع احتفاظه بزوجته الأولى، أي رعايته تعدد الزوجات.

كان فيليب قد التمس موافقة لوثر وملنشثون وعدداً من كبار اللاهوتيين حول تعدد الزوجات، مستنداً إلى تعدد الزوجات الذي قام به عدد من الآباء الأولين أمثال إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى[١]. لم يكن لاهوتيو الكنيسة الناشئة، بمن فيهم لوثر نفسه، قادرين على مواجهة الحاكم والنفوذ السياسي، لذلك فقد رخصوا له بالزواج الثاني شرط أن يكون سرياً وغير مفضوح، ونتيجة هذا الترخيص تزوج فيليب الثاني في ٤ مارس ١٥٤٠ من مارغريت فون ديرسيل.

لاحقاً هدد فيليب الثاني بفضح لوثر، الذي قام بدوره بإنكار أي صلة له بالزواج الثاني، أما كاتب سيرة مارتن لوثر بريخت، يرى أن الموافقة الضمنيّة التي قدمها لوثر على زواج فيليب الثاني كانت «واحدة من أسوأ الأخطاء التي قام بها لوثر»، وأنه أخطأ في حساب الآثار السياسية المترتبة على عمل كهذا، ومن ثم فإن افتضاح هذه القضيّة تسببت بأضرار بالغة على سمعة لوثر[٢].

* * *

(١) الموسوعة العربية ، مصدر سابق ، ص٢٨٩٠.

(٢) اريخ سورية تاريخ شعوب سورية القدماء، يوسف الدبس، دار نظير عبود،سنة١٩٨٠، ص١٦٨.

المبحث الثاني
التعريف بالمسيحية

المطلب الأول: نشأتها وتاريخ إنتشارها

تاريخ المسيحية، ويعنى بهذا دراسة تاريخ الديانة المسيحية والكنيسة، منذ يسوع ورسله الإثني عشر حتى أيامنا الحاضرة. والديانة المسيحية هي ديانةٌ توحيدية أقيمت على أساس تعاليم وحياة يسوع. أما الكنيسة بمعناها اللاهوتي والمسيحي، فهي المؤسسة التي أقامها يسوع المسيح لتتابع من بعده مهمة نشر ثقافة الخلاص بين البشر(١)، بدأت المسيحية في القرن الأول الميلادي كجماعة يهودية صغيرة، سرعان ما انتشرت في القرون القليلة اللاحقة في مختلف أنحاء الشرق الأوسط والإمبراطورية الرومانية ومستوطناتها بشمال أفريقيا الرومانية ومنها كنيسة قرطاج، وذلك رغم أعمال الاضطهاد التي كان أباطرة روما يمارسونها ضد أتباع هذه الديانة، لكنها ومنذ القرن الرابع غدت دين الإمبراطورية واكتسبت ثقافة يونانية ورومانية. تعتبر أرمينيا أولى الدول التي تتخذ من المسيحية الديانة الرسمية في عام ٣٠١، تبعتها جورجيا عام ٣١٩، أثيوبيا عام ٣٢٥ والإمبراطورية الرومانية عام ٣٨٠ (٢).خلال القرون الوسطى وفي أثنائها واصلت المسيحية انتشارها فبلغت شمال أوروبا وروسيا. ومع قدوم عصور الانفتاح والاستكشاف انتشرت هذه الديانة في جميع أنحاء الأرض، حتى أصبحت أكبر أديان العالم من حيث عدد أتباعها؛ إذ يبلغ عدد أتباعها ٢ر٢ مليار أي حوالي ثلث سكان الكوكب من البشر(٣).

المطلب الثاني: مراحل الديانة المسيحية

طبقاً لرواية الكتاب المقدس فإنه وبعد نشاط علني دام قرابة ثلاث سنوات في فلسطين وضمن بيئة يهودية، صعد يسوع المسيح إلى السماء بعد أن قدّم تعاليمه ومواعظه وأجرى المعجزات وتمم النبؤات، وافتتح العهد الجديد طالباً البشارة إلى كافة أصقاع الأرض، موكلاً الأمر إلى تلامذته، وواعداً بالرجوع(٤).

يقدّم سفر أعمال الرسل، بعض المحطات التاريخية في حياة الجماعة المسيحية الأولى، والتي كانت تعيش مواظبة على الصلاة في حياة مشتركة في كل شيء، آخذة أعدادها بالنمو والازدياد، حتى امتدت سريعاً إلى خارج بيئتها اليهودية - الفلسطينيّة، فوجدت خلال عشرين عاماً جماعات مسيحية في سوريا وآسيا الصغرى

(١) لجنة الدعوة الإلكترونية ، الناشر: لجنة الدعوة الإلكترونية، ،دار الفكر بيروت، سنة ٢٠١٥، ص٢١.
(٢)()دار المشرق ، سنة ١٩٩٧

(٣) موريس جدعون, حنا حلو, غسان خلف ،بيروت، ص١٢٠.
(٤) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ،مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ٥١-٥٢ .

ومصر واليونان وإيطاليا[١].

وصدر حوالي عام ٤٩ مرسوم طرد المسيحيين واليهود من روما، في حين انعقد مجمع أورشليم عام ٥٠ للتباحث في علاقة المسيحيين من أصل يهودي، مع المسيحيين من أصل أممي؛ وكان قد اتهم نيرون المسيحيين زوراً حسب رأي أغلب المؤرخين، بإشعال حريق روما عام ٦٤ فجرّد حملة اضطهادات عنيفة؛ ومع مقتل أو وفاة أغلب الحلقة المقربة من المسيح، ظهرت شخصيات جديدة شكلت الحلقة الأولى من آباء الكنيسة، لقد دعت الجماعات المسيحية الأولى نفسها باسم «الغرباء»، إذ وجدوا أنفسهم في «منفى أرضي» مقابل «الوطن السماوي»، وعزفوا عن السياسة أو التجارة أو الفلسفات، وفي المقابل اهتموا بالفقراء والعجزة والمرضى والعبيد، والإخلاص في الزواج مقارنة بتحلله في المجتمع اليوناني - الروماني[٢].

وكان القرن الثاني، موعداً لاضطهادات كثيرة عرفت باسم الاضطهادات العشرة في الإمبراطورية الرومانية، قضى خلالها وعلى مدى القرن والقرن التالي مئات الآلاف من المسيحيين؛ وأما المبررات المقدمة للاضطهاد فكانت رفض عبادة الإمبراطور من جهة، والمؤسسة المسيحية النابذة للعالم الوثني وقيمه، والمنغلقة على ذاتها نوعاً ما من جهة ثانية[٣]، ومنذ النصف الثاني للقرن الثاني، كانت أسفار العهد الجديد قد جمعت كما يشهد قانون موراتوري، وانتشرت الكنائس في الريف كما في المدن، وأخذت المؤسسات الكنسية، كالأبرشيات تأخذ شكلها المعروف، وظهر اللاهوت الدفاعي أي مجموع الكتابات التي تدافع عن العقيدة بوجه خصومها، لاسيّما الغنوصية والمانوية. وقد استمرت مسيحية القرن الثالث بالنمو، وجذبت مزيداً من المنضوين تحت لوائها، وأقدم البلاد التي تنصرّت بالكامل هي مملكة أرمينيا ومملكة الرها، كما وجدت جماعات مسيحية مزدهرة في الهند والحبشة؛ وعلى الصعيد الفكري فإن المدارس اللاهوتية قد تكاثرت ونبغ منها مدرستي الإسكندرية وأنطاكية، وبرزت خطوط تفسير الكتاب المقدس وتصلّبت أشكالها، كما تنظمت مؤسسة الرهبنة بعد أن كانت أفراداً أو مجموعات صغيرة لا منظم لها، بوصفها أفراداً تخلوا عن العالم المادي وكلّ ما فيه في سبيل التكرّس للدين والإيمان[٤].

* * *

(١) التبشير في أفريقيا ، عبد الجليل ريفا، ص ٤٦.
(٢) ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، إبراهيم عكاشة ، ص ١٠٨.
(٣) الغارة على العالم الإسلامي، شاتليه، ص ١٧ .
(٤) مناظرة العصر، أحمد ديدات، ص ٦٠-١٣٤ ،وينظر، تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ، ص ٨٦ - ٨٥.

المبحث الثالث
جهود مارتن لوثر العلمية

المطلب الأول: جهوده ومصنفاته

ترجمته للكتاب المقدس: قدّم لوثر أيضاً ترجمة خاصة به للكتاب المقدس بلغته المحليّة بدلاً من اللغة اللاتينيّة التي كانت اللغة الوحيدة التي سمحت الكنيسة الرومانية باستخدامها لقراءة الكتاب المقدس، ما أثر بشكل كبير على الكنيسة وعلى الثقافة الألمانيّة عموماً، حيث عزز الإصدار من قياس مفردات اللغة الألمانيّة وطورت بذلك أيضاً مبادئ الترجمة، وأثرت ترجمته لاحقاً على ترجمة الملك جيمس باللغة الإنكليزية للكتاب المقدس.

مؤلفاته:

كما ألّف لوثر عدداً كبيراً من التراتيل الدينيّة التي أثرت في تطور فن الترنيم في الكنائس. في السنوات الأخيرة من حياته، تزامناً مع مرضه وتدهور حالته الصحيّة، كتب لوثر ضد اليهود وطالب بالتضييق على حرياتهم وحرق كنسهم ومنازلهم، ما دفع إلى رشقه بمعاداة الساميّة. وفي فيتنبرغ احتشد الطلاب لسماع مواعظ لوثر وأفكاره. حيث نشر، بعد القضايا الخمس والتسعين، كتيبات أشبه بالتعليق على الرسالة إلى أهل غلاطية وسفر المزامير؛ كان هذا الجزء الأول من شهادة لوثر وأعماله الإنتاجية التي لاقت بدورها قبولاً واسعاً؛ غير أن أشهر ثلاث مؤلفات للوثر نشرت عام ١٥٢٠، وهي: (النبالة المسيحية) (والأمة الألمانيّة) و(كتاب السبي البابلي للكنيسة) و(كتاب حرية المسيحي)[١].

(١) الموسوعة العربية ، مصدر سابق ، ص٢٨٩٠.

وهذه بعض مؤلفاته:

الموضوع العام	تاريخ الإصدار	الاسم بالألمانية
لاهوت التبرير وآلية الغفران عن الخطايا.	١٥١٨	الخطبة في الغفران والرحمة Eynn Sermon von dem Ablasz unnd Gnade
مجموعة ترانيم دينية، مع ألحانها.	١٥٢٩	حصن قويّ هو إلهنا Ein feste Burg ist unser Gott
يناقش العقيدة المسيحية في الحروب والدفاع عن النفس.	١٥٢٨	حول الحرب ضد الأتراك Vom Kriege wider die Türken
من أهم الكتب، ناقش فيها الكتاب المقدس ونصوصه كالصلاة الربيّة، والوصايا العشرة.	١٥٢٩	التعليم الكبير
تعتبر أول ترجمة للغة محليّة في الغرب، نالت انتشاراً واسعاً.	١٥٣٤	ترجمة الكتاب المقدس
ينافح لوثر في هذا الكتاب عن كون حرية الإرادة في الإنسان محدودة وغير مطلقة، وهي محكومة بالنزوع نحو الخطأ.	١٥٢٥	عن عبودية الإرادة De Servo Arbitrio

ترجمته الكتاب المقدس:

نشر لوثر ترجمته الألمانية للعهد الجديد عام ١٥٢٢، ثمّ أنهى ومعاونيه ترجمة العهد القديم عام ١٥٣٤، ليُتمّ بذلك ترجمة الكتاب المقدس كلّه. واستمرّ على دراسة اللغات القديمة والعمل على صقل الترجمة حتى نهاية حياته.

انتُقد لوثر لإضافته كلمة «وحده» بين كلمة «الإيمان» في روما غير أن لوثر استفاض بتبرير عمله لكون الخلاص بالإيمان وحده حسب رأي لوثر هو العقيدة الأساسية في المسيحية، وأن القديس بولس كان يريد أن يوصل هذه الفكرة، وبالتالي فإضافة الكلمة أمر ضروري لكي يتضح بشكل ناصع فحوى العقيدة المسيحية في التبرير كما رآها لوثر[١]. انتشرت ترجمة لوثر في جميع أنحاء ألمانيا، وقال أنه يعتزم العمل بكامل طاقاته لجعل الوصول إلى الكتاب المقدس سهلاً ويومياً بالنسبة لجميع الألمان، وإزالة أي عائق قد يراه الشخص أمام بعض المفاهيم أو الألفاظ. حظيت ترجمة لوثر بشعبية كبيرة وتأثيراً كبيراً في ترجمة الكتاب المقدس، ودفعت إلى ارتفاع الطلب على المنشورات باللغة الألمانية، كما ساهمت مساهمة فعالة في تطور اللغة والأدب الألمانيين؛ وذهب البعض إلى أن انتشار اللوثرية في مختلف أصقاع ألمانيا يعود لترجمته هذه؛ ومما يذكر[٢]، هو تأثير هذه على ترجمات أخرى لاحقة مثل ترجمة الكتاب المقدس للإنجليزية عام ١٥٢٥، ومن ثم ترجمة الملك جيمس الشهيرة لاحقاً.

لوثر والأديان الأخرى:

موقفه من الإسلام

البروتستانتية والإسلام خلال انعقاد مجلس ماربورغ، كان سليمان القانوني يحاصر فيينا عاصمة النمسا. كان لوثر قد رفض مقاومة العثمانيين في شرح له يعود لعام ١٥١٨ للقضايا الخمس والتسعين، فاتهم بالانهزاميّة.

كان لوثر يرى الأتراك آفة أرسلت لمعاقبة المسيحيين من قبل الله، وأنهم جزء من الويلات التي تحدث عنها سفر الرؤيا إلى جانب البابوية التي اعتبرها لوثر خلال تلك المرحلة ضد المسيح[٣]. لبث لوثر معارضاً أي حرب على أساس ديني، معتبراً إياها مخالفة لعقيدة المسيح، ومن ثم عاد عام ١٥٢٦ وقبل بحق الدفاع عن النفس ضد الأتراك أو سواهم، وفي أواخر حصار فيينا، كتب لوثر صلاة من أجل الخلاص من الأتراك، سائلاً الله أن «يعطي الفوز للإمبراطور، دائماً على أعدائنا»، في عام ١٥٤٢ قرأ لوثر ترجمة لاتينية للقرآن، وكتب عدة تعليقات عن الإسلام الذي كان يدعوه «المحمدية»

(١) الموسوعة العربية ، مصدر سابق ، ص٢٨٩٠.
(٢) راجع لوثر ، فقط الوصايا العشر.
(٣) ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ،مصدر سابق، ص١٠٩.

أو «الأتـراك». وعلى الرغم من أن لوثر قد وجد الإسلام «أداة للشيطان»، إلا أنه عارض منع نشر القرآن في أوروبا، وعبّر عن أهمية تعرضه للتدقيق والتمحيص في الغرب، كما أبدى عدم مبالاة تجاه العبادات الإسلامية وكتب: «دعوا الترك، يؤمنون ويعيشون كما يشاؤون»[١].

المطلب الثاني: الردود عليه

النزاع مع البابوية

البابا ليون العاشر، بريشة رافائيل.

لم يقم مطران ماينز وماغديبرغ بالرد على رسالة لوثر التي طرح فيها القضايا الخمس والتسعين الخاصة به، وأعرب عن قناعاته بأنها تحوي بدعاً وهرطقات، وأرسل إشعاراً إلى روما بذلك. وجه البابا ليون العاشر أمراً إلى سلسلة من اللاهوتيين المختصين في «إصلاح الهراطقة» لمحاججة لوثر وذلك «بقدر كبير من العناية» وكما «هو صحيح». وعلى مدى السنوات الثلاث التالية نشر اللاهوتيون سلسلة مقالات ضد لوثر، التي لم يكن من أثارها سوى تصلّب معاداة لوثر للبابوية، حيث أشار مجدداً إلى الأموال التي تستخدم من أعمال التكفير في بناء كاتدرائية القديس بطرس[٢].

أخيراً رفع الراهب الدومينيكاني سلفستر مازوليني دعوى قضائية على لوثر أمام محاكم العقيدة بتهمة الهرطقة، فاستدعي لوثر إثر قبول الدعوى إلى روما. غير أن القرار عدّل لاحقاً، بحيث تتم جلسات الاستماع إلى لوثر في أوغسبورغ برئاسة الموفد البابوي الكاردينال كاجيتان، في مبنى برلمان أوغسبورغ وبضمانته. عقدت الجلسة الأولى في أكتوبر ١٥١٨ حيث أعلن لوثر أنّ البابوية غير منصوص عنها في الكتاب المقدس، وتحولت الجلسة إثر إعلانه إلى مشادة كلاميّة، وطوال الجلسات ركز لوثر على مهاجمة البابا رغم كون قضية جلسات الاستماع هي مناقشته القضايا الخمس والتسعون الخاصة برسالته الشهيرة[٣].لم يستطع الموفد البابوي اعتقال لوثر في أوغسبورغ، حيث ضمنت الحكومة الأمان للوثر، رغم أن التعليمات الصادرة عن روما للموفد البابوي تنصّ على اعتقال لوثر في حال رفض الارتداد عن معتقداته. كما أن لوثر غادر المدينة في الليل ودون إبلاغ الكاردينال أو الحصول على إذنه. في يناير ١٥١٩ عينت البابوية القاصد الرسولي كارل فون ميلتيز في ألتنبرغ في ولاية سكسونيا لإعادة الاستماع إلى لوثر. كان القاصد الرسولي ذو نهج أكثر ميلاً للمصالحة وقدم بعض التنازلات للوثر في التفاصيل. وفي شهري يونيو ويوليو ١٥١٩

(١) الغارة على العالم الإسلامي، شاتليه، مصدر سابق، ص ١٩.

(٢) تنصير المسلمين، مصدر سابق ، ص ٢٤-٢٣.

(٣) تنصير المسلمين، مصدر سابق ، ص٢٥.

نظمت مناظرات بين أنصار لوثر وأنصار التقليد الكاثوليكي، وتمت دعوة لوثر شخصياً للمناظرة. أكد لوثر بشكل أجرأ خلال هذه الفترة أن متى ١٨: ١٦ لا يضفي على البابوات الحق الحصري في تفسير الكتاب المقدس، ومن ثم طعن في العصمة البابوية في الأمور العقائدية[١]. في ١٥ يونيو ١٥٢٠ أصدر البابا مرسوماً يقضي بالطرد والحرم الكنسي للوثر في حال لم يتراجع عن ٤١ جملة مأخوذة من كتاباته بما فيها القضايا الخمس والتسعين، وذلك ضمن مهلة ستين يوماً. حاول يوهان إيك في ميسين، وكارل فون ميلتيز والسفير البابوي التوسط في إيجاد حل؛ ولكن لوثر الذي أرسل للبابا نسخة من كتابه «حرية المسيحي» في أكتوبر، أضرم النار في المرسوم البابوي على الملأ في فيتنبرغ يوم ١٠ ديسمبر ١٥٢٠، وانتهت هذه القضية بصدور الطرد والحرمان من قبل البابا ليون العاشر بحق لوثر في ٣ يناير ١٥٢١.[٢]

المطلب الثالث: محاكمته وفاته

محاكمة لوثر:

لوثر قبيل مجلس ورمز.

في ١٨ أبريل ١٥٢١ عُرض مارتن لوثر على مجلس ورمز. كان المجلس مجمعاً في مدينة ورمز على نهر الراين يضم قضاة من مختلف أنحاء الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ويترأسه الإمبراطور نفسه. وكان سبب انعقاد المجمع الذي بدأ أعماله في ٢٨ يناير وحتى ٢٥ مايو، على مناقشة القضايا الخمس والتسعين التي طرحها لوثر، وآلية تفعيل الحرم الكنسي عليها. حضور لوثر لهذا المجلس، جاء بعد أن حصل على صكّ أمان من الأمير فريدريك الثالث[٣].

قدّم يوهان إيك، متحدثاً نيابة عن الإمبراطور، نسخاً من كتابات لوثر، وسئل بداية إذا ما كانت الكتب من وضعه، ولا يزال موافقاً على محتوياتها. أكّد لوثر أن الكتب من تأليفه، وطلب وقتاً للإجابة على السؤال الثاني. صلى لوثر، واستشار أصدقاءه، وقدّم رده في اليوم التالي، بأنه مقتنع ولديه ثقة بشهادة الكتاب المقدس وحدها، دوناً عن البابا أو المجامع، التي تخطأ وتناقض نفسها في كثير من الأحيان. واعتبر لوثر نفسه في نصّ جوابه الرسمي «أسير كلمة الله»، ورفض الارتداد عن أفكاره، وقال أنه لا يجوز أن يكره بأن يعتقد ما هو ضد ضميره[٤] .

على مدى الأيام الخمسة التالية، عقدت جلسات متوالية لتحديد مصير لوثر. قدّم الإمبراطور المسوّدة النهائية التي يراها ملائمة في ٢٥ مايو ١٥٢١، وفيها إدانة لوثر بوصفه خارجاً

(١)الموسوعة العربية ، مصدر سابق ، ص٢٨٩١.
(٢) المصدر نفسه، ص٢٨٩٢.
(٣) الموسوعة العربية ، مصدر سابق ، ص٢٨٩٣.
(٤) المصدر نفسه، ص٢٨٩٥.

عن القانون، وحظر مؤلفاته، كما طالب باعتقاله بوصفه «زنديق سيء السمعة»؛ كذلك فقد نصّ القرار على تجريم كل مواطن في ألمانيا يأوي لوثر أو يقدم له مساعدة، كما أهدر دمه بمعنى أن قتله العمد لن يتسبب بأي أثر قانوني[١] في قلعة فرتبرغ.

السنوات الأخيرة لوفاته:

لوثر كان يعاني من اعتلال صحي لسنوات عديدة، لا سيّما الدوار، والإغماء، والطنين، وانسداد إحدى عينه، بدءاً من عام ١٥٣١ وحتى ١٥٤٦ حين تدهورت حالته الصحية بشكل كبير. الصراع مع روما، والانشقاقات بين زملائه الإصلاحيين، والفضيحة التي نجمت عن موافقته قيام الأمير فيليب بزوجتين، كل ذلك أدى إلى المزيد من التدهور في حالته الصحية. [١٥٠] في عام ١٥٣٦ أخذ لوثر يعاني من الحصى في الكلى والمثانة، والتهاب المفاصل، والتهاب الأذن، وتمزق طبلة الأذن. وفي ديسمبر ١٥٤٤، بدأ يشعر بآثار الذبحة الصدرية [٢].

* * *

الخاتمة وأهم النتائج

بعد اكمالي للبحث توصلت الى نتائج تتضمن النقاط التالية:

١- أن لوثر وقف في وجه الكنيسة والقساوسة وجادلهم في امور الدين .

٢- لقد اراد لوثر تحديد صلطة الكنيسة .

٣- يرى لوثر أن لا تمييز بين النصارى.

٤- وقف مع الفلاحين ودعم ثورتهم ضد سلطة الكنيسة.

٥- اراد ان يعطي كل نصراني كاهن الحق في تفسير كتابهم المقدس.

٦- انتقد امور في الحياة العامة منها شراء السلطة بثمن رخيص وبيعها بثمن غالي وغيرها من الأمور المهمة في الحياة.

* * *

(١) موسوعة الفلسفة، الدكتور عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ١ ١٩٨٤، ٢/ ٢٧٨.

(٢)موسوعة الفلسفة ، مصدر سابق ، ٢/٢٧٩.

المصادر والمراجع

١- أصول التعليم المسيحي الكتاخيسمس الصغير، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٠م.

٢- بحث في حركة الإصلاح البروتستانتي، د. سامي الشيخ محمد، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، م١٩٣٨.

٣- تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر ، ميرل د وبينياه ، ط١، بيروت، ١٩٧٨م.

٤- تاريخ سورية تاريخ شعوب سورية القدماء ، يوسف الدبس ، دار نظير عبود، ١٩٨٠م.

٥- التبشير في أفريقيا ، عبد الجليل ريفا، لبنان،٢٠١٣ م .

٦- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٠م .

٧- تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي،، دار الدعوة، سنة، ١٩٨٦م .

٨- راجع لوثر ، فقط الوصايا العشر. ، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة،١٩٨٩م.

٩- شرح موجز لأصول التعليم المسيحي، مارتن لوثر، بيروت، ١٩٨٨م.

١٠-صعود البروتستانتية الأيفانجيئيكانية في امريكا ، محمد عارف، دار المشرق ، ١٩٩٧م.

١١-طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقائدها ، انغام بنت محمد عقيل بلا طبعة، ١٤٣٥هـ.

١٢-الطوائف المسيحية في مصر والعالم، ماهر يونان عبد الله ، طبعة، القاهرة، ١٩٩٥م.

١٣-الغارة على العالم الإسلامي، لفريد لوشاتليه (ت ١٩٢٩ م) ، الناشر، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨م.

١٤-قاموس الكتاب المقدس، موريس جدعون, حنا حلو, غسان خلف ،بيروت، ١٩٨٢م.

١٥-لجنة الدعوة الإلكترونية ، الناشر: لجنة الدعوة الإلكترونية،،دار الفكر بيروت، ٢٠١٥م.

١٦-مختصر تاريخ الكنيسة ،اندرو مار، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٠م.

١٧-المصلح مارتن لوثر، بحث تاريخي عقائدي مقدم من الدكتور القس حنة جرجس الخضري، دار الثقافة، م١٩٨١م.

١٨-ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، إبراهيم عكاشة ، ١٩٨٢م.

١٩-مناظرة العصر، أحمد ديدات، مطبعة دار الفكر، بيروت، ١٩٧٠م.

٢٠-موجز لأصول التعليم المسيحي ، مارتن لوثر، ترجمة المركز اللوثري للخدمات الدينية في الشرق الأوسط، ط١،بيروت١٩٨٨م.

٢١-موريس جدعون, حنا حلو, غسان خلف، بيروت، لبنان،١٩٣٨م.

٢٢-الموسوعة العربية الميسرة المكتبة النصيرية، صيده ، بيروت،ط١، ٢٠٠٩م.

٢٣-الموسوعة العربية، الرياض، المكتبة

المصرية، بيروت، ٢٠٠٩م .
٢٤-موسوعة الفلسفة، الدكتور عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٨م.
٢٥-موسوعة المورد دائرة المعارف انكليزية عربية مصورة ، منير البعلبكي ، بيروت، ١٩٨٦م.

* * *